التطرف ليس فى التدين فقط

خادم الدعوة عثمان عبد الحميد الباز

الحمد لله رب العالمين ،خلق الإنسان ،وميزه بنور العقل واليقين والإيمان ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ضبط سلوك المؤمنين بالقرآن الكريم ،وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم شفيع المؤمنين بين يدي ربه يوم الدين ،سيد الأنبياء والمرسلين ،

يا من يكون شفيعي عند خالقه * في ساعة الحشر إن وافاني الطلبُ**

إني إليك بأبناء لك انتسبوا * مستشفعٌ فلعلّي منك أقتربُ**

ساداتنا الغرّ من أبناء فاطمة * طوبى لمن كان للزهراء ينتسبُ**

من نسل فاطمة أنعم بفاطمة * من أجل فاطمة قد شرف النسبُ**

تمهيد لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وميزه بالعقل السليم والفكر المستنير،ونهاه عن الفكر المعوج المشين المعتمد على التعصب للرأي أو الذات أو القبيلة أو الاتجاه أيا كان ،أراد منه الاعتدال والحكمة.

التعصب داءٌ دواءٌ لقد نزل القرآن الكريم على قلب سيد الأنبياء والمرسلين شافيا للأمراض الجسدية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فكل داء في الحياة وُجد في القرآن له دواء وشفاء.

وحين نزل القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي كان التعصب هو أهم ما يميز علاقة المجتمعات بعضها البعض ، وهكذا كان التعصب القبلي سمة العلاقات بين العرب ، وكان التعصب الديني والجنسي سمة العلاقات السائدة في الجزيرة العربية كلها داخلها وخارجها العربي يتعصب لجنسه ويرى نفسه أعلى الخلق لدرجة قول أحدهم يصور هذا التعصب المقيت تصويرا واقعيا

ونشرب إن وردنا الماءَ صفوًا ويشرب غيرُنا كدرا وطنيا

إنا إذا بلغ الفطامُ لنا رضيعًا تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

ونزل القرآن الكريم يحارب هذا التعصب ويقول للبشر جميعا "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " الحجرات: 13 .

ويتجلى البيان القرآني في الآية الكريمة،حيث بدأت بنداء شامل من المنادِي الأعلى سبحانه وتعالى إلى جميع خلقه ليكون الدواء شافيا والعلاج كافيا وكان الضمير في الآية ليس ضمير المتكلم ولكن ضمير العظمة الدال على عظمة الخالق العالم بمكنونا نفس المخلوق ثم جاء التعبير بما يزيل أصل التعصب بأن أصل الخلق واحد والخالق واحد ودلالة الكرامة ومقياسها واحد وهو تقوى الله تعالى.

فأصل البشرية واحد من أب واحد وأم واحدة، وقد جعلهم الله شعوبا وقبائل ليتعارفوا لا ليتصارعوا، وأكرمهم عند الله ليس أقواهم ولا أغناهم، ولكن أكثرهم لله تعالى تقوى وخشوع، والله تعالى لا يأبه باللون وبالمال وبالمظهر وبالمكانة الدنيوية وإنما بما يعمر في القلب من تقوى وإخلاص.

القرآن يقعد والنبي يؤكد وجاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تنهى عن التعصب والغلووتُحذِّرمن كل تجاوزللحدِّ،أيًّا كان مجالُه،فعن ابن عباس رضي الله عنهما،قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّفِي الدِّينِ،فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»رواه البخاري.

وجاء النداء في الحديث الشريف بنفس صيغة النداء في الآية الكريمة لعموم الداء ووحدة الدواء كما دل القرآن العظيم والنبي الكريم،ثم قرن النداءَ بالتحذير لأن الأمر جد خطير ويحتاج الدواءُ إلى دواء والعليلُ إلى شفاء لذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مجاوزة الحد في كل شيء.

ومن الحلول التي وضعها القرآن الكريم للغلو والتعصب الوسطية والاعتدال في كل شيء حتى لا يطغي شيءٌ على شيٍّ ولا يكون هناك تجاوز للحد،

فقد قيل للحسين بن الفضل: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله "خير الأمور أوساطها"؟ قال: نعم في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠].

ويؤكد رسولنا الكريم الأكرم صلى الله عليه وسلم الأمر بقوله "خيرُ الأمورِ أوساطُها"

يقول ابن الأثير كل خصلة محمودة، فإن لها طرفين مذمومين، مثل أن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم".

داءٌ كالفالج والنبى يعالج إن بين الانتماء والتعصب شعرة دقيقة فإن الانتماء للوطن أو قبيلة أو فئة لا يضر مالم يتحول الى تعصب مقيت أعمى وما دام الرابط الأعلى والأسمى هو الدين .

ويسجل لنا جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذا الموقف النبوي الجليل الذي يحذر فيه أمته من دعوى الجاهلية "العصبية"، فيقول: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» .رواه البخاري ومسلم .

ولأن الذي يزكي روح التعصب هو الحسد والبغضاء والكراهية حذر منهما الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فعن الزُّبَيْر بْن العَوَّامِ رضي الله عنه، قال: قال النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»رواه الترمذي.

واحة واستراحة ونماذج فواحة لقد ضرب الصحابة والتابعون أروع الأمثلة على ضبط النفس وترك التعصب اقتداءً برسولهم صلى الله عليه وسلم الذي قال لامرأة أخذها الفزع لما عرفت أنه رسول الله فقال لها هوني عليك ،إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ،

أحضر أعرابي ابنه إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ليعلمه؛ فقال الخليل للابن: امدح هذه النخلة. قال الفتى: (حلو مجتناها، باسقٌ منتهاها، نَضِرٌ أعلاها.)فقال الخليل: فذمَّها. قال: (صعبة المرتقى، بعيدة المرتجى، محفوفة بالأذى.) فقال الخليل: يا بني، نحن إلى التعلم منك أحوج!

فلم يتعصب الخليلُ بن أحمد لنفسه وإنما نطق توًّا بهذه الكلمات التي تعبر عن علو وسمو نفسه وعدم تمكن التعصب للذات منها وسيطرته عليها.

وهذا ابراهيم بن أدهم يمر عليه يهودي معه كلب على إبراهيم بن ادهم رحمه الله فقال له: أيهما أطهر لحيتك أم ذيل كلبي ؟ فرد عليه بهدوء: أن كانت لحيتي في الجنة فهي أطهر من ذيل كلبك ، وإن كانت في النار فذيل كلبك اطهر منها. فما ملك اليهودي نفسه ألا أن قال :اشهد أن لا اله ألا الله و أن محمداً رسول الله ما هذا إلا خلق الأنبياء.

فلو تعصب ابراهيم بن أدهم لنفسه ورد ردا سيئا لما أسلم اليهودي ولما عرف أن هذا الدين أساسه المتين هو الخلق العظيم اقتداءً بالنبي الكريم.

وهذا حاتم الطائي ، و هو مضرب أمثال العرب في الكرم ،يسأله رجل ،هل هناك من هو أكرم منك يا حاتم ؟ فالرد المناسب للتعصب للنفس يقتضي النفي لكنه أجاب بغير ذلك حين قال له الرجل: يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم ؟

قال : نعم غلام يتيم من طيء نزلت بفنائه وكان له عشرة رؤوس من الغنم ، فعمد إلى رأس منها فذبحه ، و أصلح من لحمه ، و قدم إلي ، و كان فيما قدم إلي الدماغ ، فتناولت منه فاستطبته ، فقلت : طيبٌ و الله!!

فخرج من بين يدي و جعل يذبح رأساً رأساً و يقدم لي الدماغ و أنا لا أعلم ، فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً و إذا هو قد ذبح الغنم بأسره.

فقلت له : لم فعلت ذلك ؟فقال : يا سبحان الله ، تستطيب شيئاً أملكه فأبخل عليك به ، إن ذلك لسُبة على العرب قبيحة ! قيل يا حاتم : فما الذي عوضته ؟

قال : ثلاثمائة ناقة حمراء ، و خمسمائة رأس من الغنم. فقيل : إذاً أنت أكرم منه؟فقال : بل هو أكرم ، لأنه جاد بكل ما يملك

وهذا أحد المتعلمين في الأزهر الشريف قرأ عبارة واستعصى عليه فهمُها وهي عبارة ،ويحرم بيع برمبلول ببرمبلول،فاستعصى عليه فهم هذه الكلمة، فنظر في الشروح فلم يجد أحداً من العلماء قد شرحها أو علق عليها، ونظر في الحواشي، فلم يجد من بيَّنها أو وضحها، وكاد يتهم المتون، والشروح، ، بالعجز والقصور، لأنها ضاقت عن أن تشرح هذه العبارة، أو يتهم المؤلف بالخطأ.

لكنه اتهم عقله بالقصور وذهب إلى شيخه فأخبره أنها ويحرم بيع بُرٍّ يعني قمح مبلول بمثله ،فلو تعصب لعقله وأيه وما فهمه منها اصل وما فهم.

التعصب الرياضي وباءٌ وبلاءٌ

الأساس أن الرياضة في الإسلام شيء محمود ينمي الأجسام والعقول والأفهام،إذا خلت من المخالفات التي تشيع الكراهية والبغضاء بين الناس مثل الشتائم والسباب وتبادل اللعنات بين الناس

فالتعصب خلق شيطاني حذرنا منه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»رواه مسلم.

أهم علاج للتعصّب الرياضي، هو صون اللسان عن كل قبيح فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه البخاري.

والإسلام يرى في الرياضة قوة ومتعة، لكنه يربطها بالأدب، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» مسلم.

وفي الختام فإن التعصب أيا كان نوعه غشاءٌ ساتر وحجابٌ حاجبٌ يحجب العقلَ عن الفهم والعلمِ وكلما كان التعصبُ في شيء شأنه وما زانه ،ولا سيما التعصب من أجل رياضة ما ويصل الأمر للسباب واللعان بين شخصين ،ألا يخجلون ولا عجب، فهِمَم العظامِ تتعلق بمثلها من المهام .

والعاقل الحكيم،هو الذي يزن الأمورَ بميزان الحكمة والرشاد ويبتعد عن كل مافيه ضغينة وضر ،وهذا ما بينه لنا خير البشر صلى الله عليه وسلم في تعريف القوة الجسدية والنفسية والعقلية والفكرية الممزوجة بالحكمة من الحكيم اللطيف ف﴿ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف﴾

والحمد لله رب العالمين

خادم الدعوة عثمان عبد الحميد الباز